نفس الامر ومظنة القبول مع ان سنة الله عدم القبول لكن كان سنة الكفار انهم عدم التضرع
كما قال تعالى ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقال تعالى فلما
احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وقال تعالى فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا
انا كنا ظالمين وحين علم قوم يونس ان العذاب نازل بهم طلبوا اصلحا ومن هو معلمهم يعلموهم
وقال التوحيد لابن مسعود حين قال له اما الخزي لله الا انت فقال ولا اهابح ولكن اخبرني
لمن الدار اليوم ولذا كان اشد كفرا من فرعون وغير ذلك وهذه الروايات اتصل على
صحة التكليف مع قوة الدواعي التي سماها المعتزلة الجاء لا لعدم الاختيار وهو باق
قطعا لانه دائر مع الامكان لم ما امكن العمل مع اختياره لا يشكل في هذا ناطق صادق
وليس للمعتزلة دليل على ما ادعوا ولا قدروا على تحديد تلك القوة التي تمتنع معها التكليف
اذ لا يحصى رتب القوة والاشارة الى تعيين رتبة مستحيل وتحكم والله الموفق قوله تعالى
ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا اي اعتبر بقوم يونس كيف هو شاءهم فامنوا جميعا
في وقت واحد مائة الف او يزيدون بعد عتوهم فاريناهم ما بهرهم فامنوا ايمانا
نافعا مترتبا على الاختيار ومثلها قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم
لها خاضعين فلذا رتب على ذلك قوله تعالى افانت تكره الناس اي اانت مبالغتك في التهالك
على ايمانهم واجتهادك نفسك لعلك باخع نفسك ضيع من يروم هذه الحالة التي تفرد بها
الله سبحانه وحده فلست انت القادر على ذلك بل الله وحده ولا منافاة بين ايمانهم بالكره
وبين الاختيار كتب عليكم القتال وهو كره لكم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
ويحتمل وهو الاولى اطلاق الهداية في غير هذه الاية وكذا معنى الهداية في هذه الاية
اي ولو شاء ربك لهدى الناس للايمان اما بمثل ما هدى به قوم يونس واما بالالطاف والسهولة
فهو على كل شيء قدير وخص النبي بالاكراه لانه قد بلغ كل مبلغ ولم ينتهِ ما يتخيل منه الا صورة
الاكراه فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فالذي يتصف به حال النبي صلى الله عليه وسلم حالة الاكراه والجمع على الهدى اعم
من ذلك اما لو اريد بالاكراه ما ينفي معه الاختيار لم يصح ان يسند الى الله لانه لا يحقق
الايمان لان المراد الايمان المقبول وهو المترتب على الاختيار في دار التكليف وضح
ان يسند الى النبي صلى الله عليه وسلم والاستفهام على جهة الانكار اي افانت بها المخصوص
بالعلم والحكمة تطلب استقامة ما لا يستقيم وهو جبر الناس على ان يقع منهم الايمان على
وجه غير مقبول وهو ان يحملهم صورته ولا تجيب لهم فيه لست بجبرين بربك ولذا قال

في اية الانعام فلا تكونن من الجاهلين اذا فهمت ما فصلناه تعين عندك ان تكون قوله تعالى
افانت تكره الناس مرادا به الاكراه الذي ينافي معه الاختيار لا ما يصير العبد معه مجبورا
لانه لا يصح من تكليف ما لا يطاق والزمخشري يطلق الاكراه والقسر في هذه المواضع فان
اراد ما لا يبقى معه اختيار فهو غلط في تسمية ذلك هدى الله كما قد بيناه في العلم والارواح
وغيرها ويترتب على ذلك الغلط في تفسير كتاب الله تعالى لذكر اذ يصير المعنى ولو شئنا
لسلبنا هم التكليف وهو معنى سخيف يتنزه عنه كل كلام صحيح فضلا عن كتاب الله تعالى
وان اراد ما يبقى معه الاختيار كان المعنى صحيحا نقول به الا انه يصير الخلاف بيننا وبينه
في اللفظ وهو انه لا يصح التكليف عنده ويصح عندنا لبقاء الحد وهو الاختيار ولو مع
اقوى داع وهم يقولون اذا قوي الداعي زال الاختيار ولم يحددوا تلك القوة
وقد بينا ذلك في العلم الشامخ وكذلك لم يحددوا الاختيار في انفسهم بما هو صحيح
وقد تكلمنا على ذلك في حواشي البحر قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله اذ حكي
ان بعض العبيد على بعض الامراء وقد جرد السيف والنطع فقال له اخرج من هذه الارض
والا ضربت عنقك فاخرج اني قال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله فقال ايها الذين
امنوا اهل اذن اكثر من هذا فما زال الامير فعل الله به كما كان في تمكن ومعنى الاية
ان الايمان ممتنع على مستقيم الايمان بنفسه من قبل الله بان يقدر العبد ويمكنه منه وينبهه
او يامره بلسان الرسول وكل نفس عاقلة قد اعطاها ذلك فبعض النفوس قد مكنها
ذلك فاختار الايمان وبعضها وهو الاغلب او الكل بحسب الواقع لا بد من لطف زائد
يتفضل الله به بعد تمام الحجة بنفس التمكين وقد تترادف الالطاف لبعض النفوس
ولا ينفع عندها المقصود وتسميه متكلمو المعتزلة اللطف المقرب ولا يجب عندهم
واما ما ينفع عنده المقصود فيجب ويسمى توفيقا في العمل وفي الترك عصمة واخو
انه فضل الله يؤتيه من يشاء كامل التكليف وقد حصر الاذن المذكور في الاية
في الكشاف على اللطف الزائد والنفس على المومنة كانه لقوله ويجعل الرجس على
الذين لا يعقلون وذلك غير لازم لانه يعم ان يقال وقد اذن لكل احد ثم هدى
من شا ويجعل الرجس على من علم منه عدم الانصاف اي بعد التمكين يشهد لقوم الايمان
وللاخرين الكفر حسب علمه فيهم وحكمته والله يدعو الى دار السلام اي كل احد والله
اذن ويهدي من يشا الى صراط مستقيم سورة هود عليه الصلاة والسلام قوله تعالى
ثم فصلت الشيء باعتبار صفتي كمال خبرته باعتبار صفة وحده تقول زيد نحوي

Copyright © King Saud University